مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 131) 2025, pp. 73-90

القراءات القرآنية الشاذة قراءة في ضوء نظرية الأفضلية اللسانية

أ.م. د. أحمد حسين حيال
وزارة التربية مديرية تربية بغداد الرصافة الثالثة
ah1975.h.h@gmail.com

مستخلص البحث:
سجلت المتون التفسيرية واللغوية بعضاً من القراءات القرآنيّة وسِمت بأنها شاذة؛ لأنها تجاوزت معايير القبول الموضوعة؛ على الرغم من استعمال بعض العرب لها؛ ولكن هذا الاستعمال لم يصل حدَّ الشيوع والاطراد؛ ولم يكن هذا الشذوذ اعتباطاً؛ بل كان معتمداً على ضوابط ومعايير محددة. وقد حاولت في هذا البحث أن أقارب القراءات الشاذة على وفق نظرية الأفضلية اللسانية، بمعياريها: معيار الأفضليّة القواعديّة ومعيار الأفضلية الاستعماليّة، ووجدت أن الجانب الاستعمالي في هذه النظرية يتماهي مع الأطر التداولية، وبحثت عن الضوابط الاستعمالية للتفاضل بين التركيبَينِ أو اللفظَينِ، وبحثت في علة التفاضل والاختيار التي اعتمدها العلماء.

الكلمات المفتاحية: الشاذ، القراءات الشاذة، المتبقي، الأفضلية، القيود اللسانية.

هدف البحث: يهدف بحثنا إلى ايجاد السبب في وسم هذه القراءات بالشذوذ؛ ولماذا جعلت في مستوى دون القراءات الأخرى؛ على الرغم من أن أغلبها قراءات فصيحة ومستعملة عند العرب؛ اعتماداً على معايير النظرية الأفضلية، التي ركزت على جانبي القواعد والاستعمال؛ فإيجاد المبررات القرائية أو اللغوية ليس كافياً في وسم هذه القراءة بالشذوذ؛ فيضاف إليها الجانب الاستعمالي لتكتمل صورة التفاضل بين القراءتين.

إشكالية البحث وأسئلته: يتعرض البحث إلى أسئلة معرفية؛ يحاول الإجابة عنها من خلال النماذج التطبيقية التي يعرضها؛ وبآلية التحليل اللسانيّ؛ وتتمثل هذه الأسئلة بالآتي:

1- هل تتفق معايير التفاضل التي وضعها علماء القراءات للمفاضلة بين القراءتين مع المعايير التي وضعها علماء نظرية الأفضلية اللسانية؟
2- هل كان وسم الشذوذ منصفاً لهذه القراءات أم أنها قراءات لا تختلف عن ما وسم بأنه قراءات قرآنية صحيحة؟
3- هل هناك معايير أخرى لم تذكر للتفاضل بين القراءتين؛ سواء أكانت معايير لغوية أم ليست لغوية؟

منهج البحث: إن طبيعة البحث وإشكالاته هي التي تفرض على الباحث المنهج أو المقاربة التي يشتغل على وفقها في بحثه؛ فاشتغلت البحث على أساس المنهج الوصفي التحليليّ المعياريّ؛ فبدأت بوصف النموذج المختار؛ ثم تحليل عناصره اللغويّة؛ وبعدها العمل على ايجاد الحكم في التفاضل بين القراءتين الصحيحة والشاذة؛ وابتعدت عن الاحصاء والاستقراء؛ واعتمدت على المنهج الانتقائي الاختياري؛ إذ لا يمكننا في هذه الورقة البحثية أن نعتمد المنهج الاحصائي الشامل.

مفهوم القراءة الشاذة:

الشذوذ في اللغة هو الانفراد عن الجماعة؛ فقد ورد في تاج العروس: ((يَشِذُّ ويَشُذُّ شَذًّا وشُذُوذاً: نَدَرَ عَن الجُمْهورِ وخَرَجَ عَنْهُم. وَزَاد غَيره: وانفَرَد. وَقَالَ اللَيثُ: شَذَّ الرجُلُ، إذا انْفَرَدَ عَن أَصحابِه، وكذلك كُلُّ شيءٍ مُنْفَرِد فَهُوَ شاذٌّ))[1]، ولم يكن هذا الفهم بعيداً عن مفهوم القراءة الشاذة؛ لأنها تحدد بأنها كل قراءة خرجت عن دائرة القراءات المعتبرة عند القراء وخالفت شروطهم؛ وقد حدد ابن الجزري (ت833هـ) ، في كتابه النشر في القراءات العشر شروط القراءة الصحيحة ، بقوله: القراءة الصحيحة هي ((كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَلَوِ احْتِمَالًا وَصَحَّ سَنَدُهَا،

فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا))[2]، ولم يدع ابن الجزري الاجتهاد في هذه الشروط ، بل هو يرى أنها وضعت من العلماء الذين سبقوه منهم : أبو العباس المهدوي (ت430هـ) ، ومكي بن أبي طالب (ت437هـ)، وأبو عمرو الداني (ت444هـ)[3].

فكل قراءة خالفت هذه الشروط هي قراءة شاذة بغض النظر عن قارئها، ومكانته العلمية وزمن القول بها؛ الأمر الي أزاح كماً كبيراً من القراءات القرآنية عن دائرة الاعتبار، على الرغم من غنائها اللغويّ، وكشفها عن مستوى من المستويات العربية[4].

نظرية الافضلية وعلاقتها بالشذوذ :

يُسجل عام 1993م، الظهور الأول لنظرية الأفضلية (Optimality Theory) على يد (برنس Alan Prince ، وسمولنسكي Paul Smolensky)، وقد ظهرت بناء على نقد للنظريات اللسانية السابقة، كنظريات تشومسكي، وقد عدها بعض الباحثين بأنها: ((امتداد، وتطور لنظريات غربية حديثة أهمها نظرية النحو التوليدي لتشومسكي، بل هي بديل لنظرية النحو التوليدي التي تعد النظرية الأولى في فهم الظاهرة اللغوية لأكثر من أربعين سنة، ولكن صدور النظرية التوليدية التحويلية TG grammar-التي افترض فيها وجود تركيب باطني، وآخر ظاهري لكل جملة، ونظم العلاقة بين التراكيب عن طريق قوانين تحويلية- تزامن مع عدد كبير من محاولات التطوير، والتغيير التي تثبت فاعلية تفكير تشومسكي، وديناميته، وتقبله للنقد الذي يمكن أن يوجه إلى نظريته، وقد أحس هو نفسه بأن نفيه الضبط، والربط عن اللغة، وتمسكه بالجانب العقلاني أدى إلى هندسة اللغة بعيدا عن التداول الاستعمالي، ووظيفتها القابلة لكثير من العناصر التي لا يمكن اخضاعها برمتها الى الجانب العقلاني))[5]، وربما يكون غياب المنحى التداولي الاستعماليّ عن نظريات تشومسكي والنقد الذي وجه إلى نظريته هو الأساس في ظهور هذه النظرية.

ويمكن اعتبار نظرية المفاضلة Optimality Theory 1993 (Prince & Smolensky ,McCarthy & Prince 1993a,b) إطارا مقارباتيا مستحدثا نسبيا أفرزته التطورات المدهشة التي عرفتها الفونولوجيا في السنوات الأخيرة بعدما امتد مجال اشتغالها فوسع لغات وظواهر جديدة لم يكن ممكنا مع النظريات الفونولوجية السابقة التي اقترحت نظرية المفاضلة كبديل لها، الوصول إليها ثم دراستها. اقترحت لأول مرة في منتصف التسعينات الميلادية من القرن الماضي كجهاز قادر على احتواء النظام اللغوي والتعامل مع مختلف مستوياته التحليلية صوتية كانت، أم صرفية، ام نحوية أم غيرها، مثبتة كفاءتها وقدرتها على الأداء الأفضل عالي المستوى.

وقد أكدت القرائن والاستنتاجات المستخلصة من الأعمال الإمبريقية التي أقيمت على عدد غير قليل من اللغات الطبيعية، فعالية هذا النموذج، الذي وظف الآليات المتوفرة إلى جانب أخرى استحدثت خصيصاً لمناسبة مطالبه الجديدة[6]. ولم تحظ هذه النظرية بالانتشار في الأوساط الاكاديمية العربية كما انتشرت نظريات تشومسكي قبلها؛ وربما يعود هذا إلى:

1- الحداثة النسبية للإطار النظري لها.
2- قلة الباحثين العرب المهتمين بهذه النظرية في الأكاديميات العربية[7].
3- وربما يكون ظهور النظرية التداولية غطى على الأفضلية لأنها تعالج المساحة المعرفية نفسها.

وتتمحور الفكرة الرئيسة لنظرية الأفضلية حول المبدأ المنطقي الذي يقيم مستوى نجاح أصحاب اللغة في الوصول إلى القدر الأفضل من الأداء المتزن بمدى قدرتهم على تعريف تلكما الكتلتين من القوى المتمايزة، والتي تعمل كل واحدة منهما باتجاه يعاكس الأخرى، فتهدف إحداهما إلى تحقيق التمام، في حين تصارع الثانية جاهدة للحفاظ على الإرث.

وهذا مؤشر على تحول النظرة باتجاه عدم إهمال التداول الاستعمالي للأداء اللغوي، والمحافظة على أصالته. ومن ثم ترتبط هذه النظرية بالتداول الاستعمالي للغة، وهي ضربان في العربية:

1- الأفضلية الاستعمالية: ويقصد بها جريان القراءة على ألسنة أصحابها، وثباتها.

2- الأفضلية القواعدية: ويقصد بها مدى مطابقة القراءة (الأداء اللغوي) للقاعدة النحوية، أي: مدى مطابقة الاستعمال للقياس. فتعد القراءة الأكثر تلاؤما مع القاعدة النحوية هي القراءة الأفضل في هذه الدراسة، بل هي الجملة النواة فيها. التي يمكن أن تشتق منها جملا غير نواة عن طريق تطبيق قانون الحذف، والتغيير، وإعادة ترتيب المكونات، وغيرها لتتولد منها جملا جديدة، وأساليب تعايشت مع بعضها في الاستعمال اللغوي[8].

أما عناصر النظرية فتتكون من مجموع من المكونات الأساسية وهي:

1- المولد: وهو من يقوم بوظيفة انتاج صيغ المخرج المرشحة لمدخل ما، أي: من يقوم بتوليد الصيغ المختلفة، بالإضافة الى ما ينتج في التراكيب اللغوية من تقديم، وتأخير، وحذف، ونحو ذلك، فهو الذي يتكفل بتوليد التراكيب الممكنة من

2- القيود: وهي متطلب بنيوي يمكن موافقته، أو انتهاكه بالصيغة التي يولدها المولد، فيمكن لصيغة ما أن توافق أحد القيود إذا توافقت تماماً المطلب البنيوي بينما يمكن القول: بأن الصيغة التي لا توافق هذا المتطلب هي الصيغة التي تنتهك ذلك القيد.

3- المقيم: وهي قائمة القيود المرتبة التي تقوم صيغ المخرج المرشحة بالنظر إلى قيمتها التلاؤمية، وتختار المرشح الأفضل وهذا يعني تقييم كل النماذج الممكنة من التركيب في الأصل، إضافة إلى التركيب الأصل نفسه، وهو يختلف من لغة إلى أخرى، إستنادا إلى طبيعة كل لغة في الحكم، لاختيار التركيب الأفضل. فالمقيم هو من يعطي الحكم على أفضلية تركيب ما على غيره، وقبول تركيب آخر، و رفض تركيب ثالث من العملية اللغوية.

4- تسلسل القيود: تقوم آليات التقييم بتقدير علامات الانتهاك التي تتكبدها المخرجات المرشحة لكل قيد، وترتيب القائمة اللامحدودة للمخرجات المرشحة بناء على تلاؤمها، ويكون ذلك باعتبار تسلسلية القيود، ومن ثم تتم عملية اختيار المرشح الأكثر تلاؤما على أنه الأفضل، كما أن تسلسلية القيود تحتوي على كل القيود الكونية، التي تم ترتيبها بطريقة مخصصة.

ويظل الكلام الشاذ –مع وصفه بالشذوذ- مستوى لغوياً كاشفاً عن الأداء اللغويّ لبيئة معينة، أو متكلم معين استعمله لغايات خاصّة، وهي أداءات اخترقت اللغة الفصحى، إلا إنها جزء أصيل من المستوى الاستعمالي للغة، ودليل هذا توجيه النحاة، وايجاد المبررات لاستعمالها؛ لأنّ مهمة توصيف هذه الاستعمالات وتقعيدها تبقى واجبة عليهم؛ ورغم ذلك فهي بحسب لوسيركل ((تغني اللغة وترفدها ولا تنقض عراها))[9]. إن بعض النحويين وقعوا في مشكلة عندما أعلنوا خطأ بعض التراكيب القرآنية؛ لأنهم احترموا الأفضلية القواعدية على حساب أفضلية الاستعمال. إذ غاب عن أذهانهم حقيقة مهمة وهي أن المتكلم مقيد في استعماله للغة بظواهر اجتماعية، ونفسية محددة، وغير مقيد بقواعد قاصرة عجزت عن استيعاب لغات العرب جميعها، نتيجة اعتمادهم على مستوى لغوي معين في التقعيد، يتمثل في اللغة الأدبية الفصيحة[10]، وهو مستوى ليس بالضرورة يحظى بالأقدمية التأريخية، ومن ثم فإن اللهجات الحديثة قد تشتمل على صورة هي أقدم من نظائرها في الفصحى من حيث الانتماء التاريخي، كما أن القراءات الشاذة يمكن أن تنطوي على صور نطقية هي أعرق تاريخياً من نظائرها في قراءة الجمهور أو القراءات الأخرى المتواترة[11]. لقد أطلق جان جاك لوسيركل على هذا النوع من الأداءات، والتي تكون مخالفة لتواتر علماء النحو واللغة، ولكنها حاضرة في الاستعمال مصطلح (المتبقي)، وهو: الجانب الآخر من اللغة الذي ينفلت من عالم اللسانيات، لا بسبب فشله أو

قصوره في الأداء؛ والذي لم يتجاهله النحو العلميّ؛ ولكنّه يرصفه في خانه خاصّة تحت مسمى الشذوذ أو الاستثناءات[12]. وهو :((حالة خرق للنحو الأساسي، حالة من الإبداع الذي يخرق القاعدة، ولا يخضع لها))[13]، والمتكلم قادر على التعامل مع قواعد لغته تعاملاً مرناً، فيحرفها أو يلغيها، بحسب ضروريات كلامه، وقواعد النحو قابلة للخرق كما هي قواعد التداولية[14].

وبمعنى آخر هو: ((أداء يعبر أكثر ما يكون عن الحالة اللاشعورية لمتكلم اللغة، أو قد يكون امتدادا تاريخيا للغة لم تشمله القواعد القياسية، فطبيعة اللغة غير مستقرة وليست ثابتة ، فهي تتطور وتتشكل وفق البيئة، كما وتتأثر بالتراث السائد حولها وتؤثر فيه باستمرار... وهو ابن اللغة لا يمكن طرده منها؛ فهو دائماً موجود وخاصة حينما يتكلم المرء لغته الأم))[15].

ويرى لوسيركل أن المتبقي اللغويّ يعمل ضمن قواعد ثلاثة، هي[16]:

1- قاعدة استغلال قواعد النحو وخرقها.

2- قاعدة التناقض الظاهريّ إذ إن عمل المتبقي يهدد بتخريب النظام اللغويّ من حيث وضعية الكلمات وتسمية أجزاء الجملة من مسند ومسند اليه، والفعل والفاعل.

3- قاعدة العمل اللاواعي، فحتى الأحلام يجب أن يكون لها نوع من النحو.

والمتبقي هو ما يصلح للتفسير النصيّ القائم على السياق لا على القاعدة، فهو تفسيرٌ للشواهد اللغوية التي تكون خارج معيار القواعديّة؛ لأنها تتعارض مع القواعدية نفسها[17].

محورية القيد في نظرية الأفضلية:

يمكننا تحديد القيد في اصطلاح النظرية بأنه: مطلب لغويّ قائم على رعاية السلامة البنيوية للخروج المرشحة التي ليس بإمكانها موافقته دائماً[18]. وبوساطة القيد نستطيع اختيار البنية الأفضل المستعملة؛ ونكتشف علة وسم الأخرى بالشذوذ. فتقوم نظرية الأفضلية اللغوية على مفهوم بسيط نظرياً، حيث إن المدخلات تعرض على المعايير التي يضعها اللغوي وفقاً للمستوى اللغوي، نحوي تركيبي، أو صرفي، أو صوتي، والأكثر تماهياً مع القيود؛ بمعنى: الأقل انتهاكاً لها يكون هو الأفضل في هذه الحالة، بناء على قياس معدل الانتهاكات بين المدخلات، لكن فكرة تفاعل القيود مع قيمتها تعد مستغربة؛ حيث إن القيود تختلف في أهميتها ودرجة الإقناع من قيد لآخر؛ لأن القيد الأكثر إقناعاً يأخذ الأولوية المطلقة على الآخر، ولحل الصراع بين القيود يتم ترتيب القيود وفق الهيمنة الصارمة للقيد الأهم على الأدنى رتبة منه. وللقيود مكانة محورية في النظرية؛ فهي القلب المحرك للعمليات اللسانية التي يتأسس عليها النظام اللسانيَّ، الذي يُنظر إليه في كثير من الأحيان في نظرية الأفضلية على أنه قائمة من القيود الكونية المتضادة والمتفاعلة في ما بينها، ومن أهم مواصفات القيود:

1- قابليتها للخرق: تشكل هذه الصفة أهم المرتكزات التي قامت عليها النظرية، فالقيود قابلة لأن تخترق وتنتهك حرمتها، ولكن لا يُعدُّ انتهاك قيد ما سبباً مباشراً لاعتلال الصيغة، كذلك لا تُعد الموافقة المطلقة لكل القيود أمراً أساسياً لمخرجات النظام اللغوي.

2- القيود نظام من القوى المتضادة: هناك فكرة رائجة في صلب نظرية المفاضلة ترى أن حقيقة كل الأنظمة اللغوية، لا تخرج عن كونها مجموعة من القوى المتضادة يحركها نوعان من القيود، تختلف مطالب أحدهما عن مطالب الآخر في ما يخص الشكل البنيوي الذي يجب أن تكون عليه الخروج المرشحة. فكل منهما يحاول أن يجذب البنى اللغوية ناحيته في نوع من التنازع والتصارع بين هاتين القوتين متعاكستي الاتجاه، وهو ما من شأنه أن يفعل حركية النظام اللغوي في أية لغة كانت، وهذه القوى نوعان: قيود التمييز، وقيود المحافظة[19].

ومن الناحية الاجرائية وفي سبيل اختيار إحدى الخرجين ورفض الآخر يتم القبول بأقلهما انتهاكاً وخرقاً للقيود، من حيث العدد والأهمية؛ وتقترح نظرية الأفضلية رموزاً خاصة في تمثيلاتها، وتشكل

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 131) 2025, pp. 73-90

الجداول السمة البارزة والتي تختلف خاناتها بحسب عدد الاحتمالات المقترحة لإجراء المفاضة، أما الرموز المستعملة فهي: النجم (*) دلالة على الانتهاك، أما علامة التعجب (!)، فإنها تستعمل في نظرية المفاضلة دليلاً على خرق قاتل يُعرِّض الخرج الذي يَسِمه إلى التنحي من المنافسة نهائياً. بينما تُستعمل اليد المشيرة ( )، لتعيين الخرج الأفضل، أما الرمز (√) فهو دليل على وجود القيد [20].

معايير التفاضل بين التركيب الشاذ وغيره:

اتخذ علماء القراءات القدامى معايير خاصة للمفاضلة بين القراءتين؛ نجد أول هذه المعايير عند الطبريّ ومنها تلك التي ذكرناها عن ابن الجوزي في شروط القراءة الصحيحة؛ وهناك معايير لقبول القراءة ذكرها الطبري؛ إذ قال: وهذه المعايير رتبناها في الجدول بحسب أهميتها في المفاضلة بين القراءتين، وهي:

1- حصول المعنى وأمن اللبس: إن من شأن الاحتكام إلى هذا القيد، احتواء الغموض والالتباس الذي قد يعتري البنية المورفولوجية في دلالتها، ولعل قاعدة أمن اللبس كانت معياراً، في فصاحة، إذ الأصل في الكلام الإفادة، فإن تعذرت وقع الغموض وكثيراً ما تراعي التغييرات الحاصلة على المستوى البنيوي للكلمة مطالب هذا القيد، وكل خرق له يعتبر خروجاً عن الوضع القواعدي العام للغة، وإخلالاً بمبدأ السلامة[21].

2- معيار الاستعمال: لا نستطيع محاكمة التركيب بأنه غير صحيح إلا إذا كان من استعمال المولدين. وأما إذا كان من استعمال الأولين أصحاب القيد (القرن الأول ومنتصف الثاني الهجريّ) فإنه يظل صحيحاً استعمالياً (تحقيق الأفضلية الاستعمالية)، وإن كان غير قواعدي في بعض جوانبه[22].

3- الاقتصاد في الجهد: نريد من هذا القيد أن يؤدي الدور الأبرز ضمن قائمة القيود التي توظف وتفسير الطبيعة البنائية للصيغ المورفولوجية في اللغة العربية، إذ على أساسه يقاس الجهد العضلي المبذول التي ترجع في الأصل إلى درجة الانسجام أو التنافر الحاصل بين الأصوات في عملية التأليف.

وبناء على ما تقدّم سيكون العمل الاجرائي مستنداً إلى الجدول الآتي:

القيود	حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج				

نماذج تحليلية:

لا تنحصر القراءات الشاذة في مستوى واحد فحسب؛ بل نجد منها في المستوى الصوتي، والصرفي، والنحويّ، والدلالي، والتداوليّ، وبناء على المنهج الي اخترناه وهو الانتقائي؛ فاخترنا عشر نماذج لتبيين معايير التفاضل التي استعملها القدامى والمحدثين، ومدى صواب هذه المعايير في المفاضلة بين الأداءات اللغوية، وهذه النماذج؛ هي:

النموذج الأول: المفاضلة في العلامة الاعرابية للمبتدأ:

وردت القراءة الشاذة في قوله تعالى: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (الفاتحة 2)، فقد قرأ قراءة الحسن البصريّ (ت110هـ)، وزيد بن علي (ت122هـ) (الحمدِ لِلهِ) بجر الدال اتباعاً لعلامة اللام في لله، وقد اختلف اللغويون في توجيهها والحكم عليها؛ فقال الفراء (ت207هـ) : ((هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة))[23]، أما ابن خالويه (ت370هـ) فقال: ((وقرأ الحسن ورؤبة «الحمدِ للهِ» بكسر الدال، أتبعا الكسرَ الكسرَ؛ وذلك أن الدال مضمومة وبعدها لام الإضافة مكسورة، فكرهوا أن يخرجوا من ضم إلى

كسر))[24]، أما ابن جني (ت392هـ) فأصدر حكماً لغوياً على هذه القراءة بقوله: ((شاذ في القياس والاستعمال))،[25] وإن حاول بعد هذا الكلام توجيه هذه القراءة وتبريرها.

وبالمجمل نجد الأحكام التي أصدرها اللغويون على هذه القراءة؛ هي:

1- إنها كثيرة الاستعمال في لسان العرب، والمقصود هنا (الحمد لله)، كتركيب واحد وليس كلمة الحمد فحسب.

2- إن العرب تكره الانتقال من الضم إلى الكسر، هذا مردود بأن الاتباع يجب أن يكون باتباع الثاني للأول وليس العكس، كما في العطف والتوكيد والنعت والجار والمجرور.

3- إن هذا التركيب شاذ في القياس وفي الاستعمال.

وبالنظر في هذه الأحكام نجد أن الأول والثاني حكمين اعتباريين لا يقومان على دراسة استقصائية؛ لأن القرآن فيه شواهد كثيرة تأتي الضمة وبعدها الكسرة؛ ولم نجد أن العرب يتثاقلون من نطقها أو يعدلون إلى تغييرها.

أما حكم ابن جني فهو قائم على أساس القاعدة اللغوية والاستعمال العربي، فكلامٌ سليم وحكم رصين؛ لأن هذا العدول مخالف لقواعد العربية مخالفة واضحة جلية لم يستطع اللغويون أن يوجهوها وهي كسر المبتدأ، ممّا أدى إلى تغيير المعنى؛ لفقد الإسناد والخرق الحاصل بين المبتدأ والخبر؛ قال ابن جني: ((إن ضمة الدال في "الحمدُ" إعراب، وكسرة اللام في "لِلّه" بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلت: "الحمدُ لُلّه" فقريب أن يغلب الأقوى الأضعف، وإذا قلت: "الحمدِ لِلّه" جنى البناء الأضعف على الإعراب الأقوى))[26].

والقيمة العلميّة التي نجدها لهذه القراءة هي تقليل الجهد العضلي المبذول؛ لأن الكسرة أقل جهداً من الضمة؛ ونستطيع رسم جدول الأفضلية استناداً إلى القيود المتوافرة على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	الحمدُ لِلّه	√	√	√	×
	الحمدِ لله	×	√	×	√

وبناء على هذا الجدول نجد أن الخرج الأول (الحمدُ لله) هو الأقل خرقاً لقيود نظرية التفاضل؛ لذا سيكون هو الخرج الأفضل .

النموذج الثاني: المفاضلة بين الخبر والمفعول به:

وفي هذا النموذج نتعرف على قوله تعالى: ((وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (البقرة135)، فإعراب: (((مِلَّةَ) مفعول به لفعل محذوف أي نتبع أو منصوب على الإغراء بتقدير الزموا))[27]، وعليه فلا وجه للرفع ولا يمكن التأويل، ولكن قرأ الأعرج وابن جندب شذوذاً بالرفع (ملة ابراهيم) برفع ملة على نية حذف المبتدأ (هي). قال الفراء: ((ولو رفعت الصبغة والملّة كان صواباً كما تقول العرب : جدُّك لا كذُّك ، وجدَّك لا كذَّك. فمن رفع أراد : هي ملّة إبراهيم))[28]. إذن نحن أمام مستويين لغويين يعتمدان في الأساس على الإضمار، الأول إضمار فعل والآخر إضمار اسم، ولكن هناك فارق بين المستويين من حيث المعنى؛ ففي حالة النصب يكون المعنى: ((أَيْ بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ، لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى: اتَّبِعُوا الْيَهُودِيَّةَ أَوِ النَّصْرَانِيَّةَ. وَأَمَّا عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ، أَيْ بَلْ تَكُونُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، أَيْ أَهْلُ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ))[29]. أما على الرفع فهو استئناف جملة جديدة؛((أَيْ بَلِ الْهُدَى مِلَّةُ، أَوْ أَمْرُنَا مِلَّتُهُ، أَوْ نَحْنُ مِلَّتُهُ، أَيْ أَهْلُ مِلَّتِهِ))[30]، وعلى

هذا التأويل يبتعد المعنى عن سياقه الوارد فيه وهو اتباع ملة إبراهيم؛ فعلى الرفع يكون تعريف الملة وليس إتباعها.

وبملاحظة القارئ الذي هو حميد بن قيس الْأَعْرَج (ت130هـ)، نتعرف فصاحة هذه القراءة؛ فهو توفي ضمن زمن الاحتجاج، كما أن الجهد النطقي المبذول في القراءتين متساوٍ، وعليه يكون جدول القيود على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	ملةَ ابراهيم	√	√	√	√
	ملةُ ابراهيم	×	√	√	√

فنلحظ أن الخرج الثاني (قراءة الأعرج) كان صاحب الخرق الوحيد لقيود الأفضلية، إذ إنه خرق القيد الأهم، وهو قيد المعنى؛ فقراءة الرفع ستغير المعنى وتبتعد عن المعنى المطلوب، وهذا القيد يجعلها قراءة ليست معتبرة، بغض النظر عن القيود الأخرى؛ لكنها أقل أهمية من القيد الأهم (حصول المعنى).

النموذج الثالث: تسكين الفتحة الدالة على الألف المحذوفة في الفعل المجزوم:

قال تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) (البقرة 246)، وقد قرأ عبد الرحمن السُلميّ (ت74هـ)، بسكون الراء (ألم ترْ)، قال ابن جني: ((فيها ضعف؛ لأنه إذا حذف الألف للجزم فقد وجب إبقاؤه للحركة قبلها دليلًا عليها، وكالعوض منها لا سيما وهي خفيفة، إلا أنه شبه الفتحة بالكسرة المحذوفة في نحو هذا استخفافًا))[31]. وقال ابو حيان الأندلسي (745هـ) : ((عَلَى تَوَهُّمِ أَنَّ الرَّاءَ آخِرُ الْكَلِمَةِ))[32]. إنّ محاولة تأويل هذه القراءة من ابن جني محاولة غير ناجحة؛ لأن وسم القراءة بالتخفيف فيه اجحاف فالقضية عكسية فمحاولة الانتقال من السكون الى الكسر يبذل القارئ جهداً أكثر من الجهد المبذول في الانتقال من الفتح إلى الكسر؛ ولاسيّما أن هذا الانتقال مرهون بأوضاع التلاوة والتجويد؛ أما وسم أبي حيان لهذه القراءة فهو عين الصواب؛ وربما يكون الوهم دخل من باب التلاوة والقراءة؛ فنهاية الكلام لابد من الوقوف على ساكن. وبالعودة الى قيود نظرية الافضلية نرسم الجدول الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	أَلَمْ تَرَ	√	√	√	√
	ألم ترْ	√	√	×	×

وبمتابعة التفضيل بين الخرجين نجد أن الخرج الثاني بسكون الراء قد خرق قيدين؛ الأول: هو السلامة اللغوية؛ فلم أداة جزة وهي تعمل الجزم في الفعل المضارع، وقد جزمته هنا بحذف الألف لأنه فعل منتهٍ بحرف علة وقد وضعت الألف للدلالة على الحرف المحذوف

النموذج الرابع: المفاضلة بين خبر ليس والحال:

((إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ)) (الواقعة 1، 2)، قال أبو جعفر النحاس (ت338هـ): ((وقرأ اليزيدي خافِضَةً رافِعَةً بالنصب. وهذه القراءة شاذة متروكة من غير جهة منها أنّ الجماعة الذين تقوم بهم الحجّة على خلافها، ومنها أنّ المعنى على الرفع في قول أهل التفسير والمحقّقين من أهل العربية))[33]، وعلى قراءة النصب هي حال. وبالنظر إلى قيد المعنى نجد أن

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 131) 2025, pp. 73-90

الخرج الأول بالرفع هو الذي يؤدي المعنى خلاف الخرج الثاني بالنصب، قال ابن عباس: ((خفضت أناساً ورفعت آخرين فعلى هذا لا يجوز إلّا الرفع: لأن المعنى خفضت قوما كانوا أعزاء في الدنيا إلى النار ورفعت قوما كانوا أذلّاء في الدنيا إلى الجنة، فإذا نصب على الحال اقتضت الحال جواز أن يكون الأمر على غير ذلك))[34]. أما بالنظر إلى قيد القواعدية نجد أن ((مَوْقِعَ الْحَالِ مِنَ الْكَلَامِ مَوْقِعُ مَا لَوْ لَمْ يُذْكَرْ لَاسْتُغْنِي عَنْهُ))[35]، فعليه يكون الحال بعيد جداً؛ لأنه ((يقبح لأن العرب لا تَقُولُ: إذا أتيتني زائرًا حتَّى يقولوا: إِذَا أتيتني فأتني زائرًا أَو ائتني زائرًا، ولكنه حسن فِي الواقعة لأنّ النصب قبله آية يحسن عليها السكوت، فحسن الضمير فِي المستأنف))[36]، وعلى الرغم من تحسين الفراء لهذا الخرج؛ فقد ظل قبيحاً ولم يستطع أن يدعم تحسينه له بشاهد من كلام العرب شعراً أو نثراً.

فيكون جدول القيود على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	خَافِضَةٌ رَافِعَةً	√	√	√	√
	خَافِضَةً رَافِعَةً	×	×	×	√

فالخرج الثاني خرق ثلاثة قيود هامّة جداً، فعلى هذا الخرج يكون المعنى ليس كما أراد الله ، وهو تركيب لم يرد على السنة الفصحاء العرب؛ وهو كذلك قد خرق القاعدة النحوية المتمثلة بإعراب الخبر حالاً من دون مسوغ.

النموذج الخامس: المفاضلة بين جمع المذكر السالم وجمع التكسير:

قال تعالى: ((وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ)) (الشعراء:210) : قراءة الحسن البصري[37] " الشياطون " بالرفع جعلها أهل العربية من أغلاط القراء ، ((وأنهم استهواهم الشبه بين هذا الجمع وجمع التصحيح ، فشبهوا الياء التي قبل النون بياء جمع المذكر السالم ، وهو تشبيه بعيد لاختلاف النونين والجمعين . قال ابن جني عن العرب القائلة : حلات السويق ورثات زوجي بأبيات ... . إنما يجوز هذا الغلط عندهم ، لما يستهويهم من الشبه ؛ لأنهم ليست لهم قياسات يستعصمون بها ، وإنما يخلدون إلى طبائعهم ؛ فمن أجل ذلك قرأ الحسن " وما تنزلت به الشياطون " ؛ لأنه توهم أنه جمع التصحيح ، نحو الزيدون ، وليس منه)) [38]. وهو ((شَاذٌّ، قَاسَهُ عَلَى قَوْلِ الْعَرَبِ: بُسْتَانُ فُلَانٍ حَوْلَهُ بَسَاتُونَ))[39]. وهذا القارئ الذي نسبت له القراءة ، ونعت بالغلط في قراءته كان من الفصاحة والعلم بالقرآن وأحرفه بمكان ؛ فقد روي عن الشافعي قال : " لو أشاء أقول : إن القرآن أنزل بلغة الحسن ، لقلت لفصاحته[40].

نكتشف ممّا تقدّم أن الحسن البصري على فصاحته توهم واختلط عليه الأمر وجعل شياطين جمع مذكر سالم، بالقياس على بعض الألفاظ العربية المماثلة لها في الوزن، ممّا جعلها قراءة شاذة وأداء لغوي متروك؛ وعليه فنجد أن الخرج الأول (الشياطين) لم يخرق أياً من قيود نظرية الأفضلية في حين خرق الخرج الثاني(شياطون) أكثر من قيد، وكما مبين في الجدول:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	الشياطين	√	√	√	√
	الشياطون	√	×	×	√

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 131) 2025, pp. 73-90

من الجدول يتبين لنا أن الخرج الثاني خرق قيدين؛ الأول: الاستعمال عند الفصحاء، فلم نجد العرب تستعمل هذه الكلمة، والآخر: هو السلامة اللغوية لأن البناء الصرفي للكلمة غير سليم؛ فهي جمع تكير في حين استعملها الحسن البصري جمع مذكر سالم.

النموذج السادس: المفاضلة بين (ننجيك) و(ننحيك):

قراءة أبي بن كعب ومعه جماعة في قوله تعالى : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) [يونس: ٩٢] قرأوا " ننحيك " بالحاء ، قال أبو الفتح : " هذه تفعلك من الناحية، أي نجعلك في ناحية كذا . يقال : نحوت الشيء أنحوه إذا قصدته ، ونحيتُ الشيء فتنحى ، أي باعدته فتباعد فصار في ناحية[41]. وقال الزمخشري: " (ننجّيك) بالتشديد والتخفيف: نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ... وقرئ (ننحيك) بالحاء نلقيك في ناحية مما يلي البحر، وذلك طرح بعد الفرق بجانب البحر "[42] . إذن معنى" ننجيك " بالجيم المعجمة النجاة من الهلاك ، ومعنى قراءة " ننحيك " بالحاء : نجعلك في ناحية، قال الرازي: ((قَرَأَ بَعْضُهُمْ نُنَجِّيكَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، أَيْ نُلْقِيكَ بِنَاحِيَةٍ مِمَّا يَلِي الْبَحْرَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ طُرِحَ بَعْدَ الْغَرَقِ بِجَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْبَحْرِ. قَالَ كَعْبٌ: رَمَاهُ الْمَاءُ إِلَى السَّاحِلِ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ))[43]، ونبعدك لتكون في ناحية من الأرض.

إن متابعة المتون التفسيرية، وكتب القراءات الشاذة تكشف أنهم لا يجدون ثمة فرق واضح في المعنى بين قراءة (ننجيك) و(ننحيك)؛ لأنها عندهم بمعنى واحد وهو أن فرعون سيكون في ناحية من الأرض مكشوفاً بدنه ينظر إليه الناس دون روح. إذن علامَ جعلوا هذه القراءة شاذة؟

إن الحجة في وسم هذه القراءة بالشذوذ عند العلماء هي ما ذكره ابن الجوزي فيها؛قال: ((وَمِثَالُ (الْقِسْمِ الثَّالِثِ) مِمَّا نَقَلَهُ غَيْرُ ثِقَةٍ كَثِيرٌ مِمَّا فِي كُتُبِ الشَّوَاذِّ مِمَّا غَالِبُ إِسْنَادِهِ ضَعِيفٌ كَقِرَاءَةِ ابْنِ السَّمَيْفَعِ وَأَبِي السَّمَّالِ وَغَيْرِهِمَا فِي نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ (نُنَحِّيكَ) : بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ))[44].

وضعف السند يعني أنها غير معتبرة الصدور؛ ولربما لم تستعمل عند الفصحاء من العرب، وهذا القيد هو الفارق الوحيد بين الأداءين اللغويين (القراءتين)؛ ويكون الجدول على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	ننَجِّيك	√	√	√	√
	نُنَحِّيك	√	×	√	√

النموذج السابع: المفاضلة بين (يغنيه) و(يعنيه):

للقراءة المتواترة، من مثل ما قرئ في الشواذ في قوله تعالى ((لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)) [عبس:الآية 37] فقد قرأها الزهري وابن محيصن وابن أبي عبلة وحميد وابن المقفع وابن السميفع بالعين المهملة، أي: يعنيه[45]. ومعنى ((الْإِغْنَاءُ: جَعْلُ الْغَيْرِ غَنِيًّا، أَيْ غَيْرَ مُحْتَاجٍ لِشَيْءٍ فِي غَرَضِهِ. وَأَصْلُ الْإِغْنَاءِ وَالْغِنَى:حُصُولُ النَّافِعِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ [يُوسُف: 67]وَقَالَ: مَا أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ [الحاقة: 28] . وَقَدِ اسْتُعْمِلَ هُنَا فِي مَعْنَى الْإِشْغَالِ وَالْإِشْغَالُ أَعَمُّ. فَاسْتُعْمِلَ الْإِغْنَاءُ الَّذِي هُوَ نَفْعٌ فِي مَعْنَى الْإِشْغَالِ الْأَعَمِّ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ أَوِ الِاسْتِعَارَةِ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَشْغَلُهُمْ عَنْ قَرَابَتِهِمُ الْمُشْرِكِينَ فَرْطُ النَّعِيمِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَقِبَهُ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ))[46]، أما على معنى يعنيه فيكون الكلام: ((مِنْ قَوْلِهِمْ: عَنَانِي الْأَمْرُ: قَصَدَنِي))[47] وقد حاول ابن جني أن يجد لهذه القراءة مخرجاً ولكنه عجز؛ فقال: ((وهذه قراءة حسنة أيضا، إلا أن التي عليها الجماعة أقوى معنى، وذلك أن الإنسان قد يعنيه الشيء ولا يغنيه عن غيره.

وذلك كأن يكون له ألف درهم، فيؤخذ منها مائة درهم، فيعنيه أمرها، ولا يغنيه عن بقية ماله أن يهتم به ويراعيه))[48]. ولا ينفع وسمها بأنها قراءة حسنة فلا حسن فيها وهي تجانب المعنى مجانبة واضحة بينة؛ فالاشتغال في الجنة وأمورها ليس كما هو الاعتناء بموضوع ما؛ كما أنها مشكوك في أمرها لأنها قد تكون من ((مما صحفه ابن المقفع فقرأه بالعين المهملة))[49]، وعلى هذا فتكون غير مستعملة عند العرب. ولذا فالخرج الثاني قد خرق أهم قيد من قيود الأفضلية وهو المعنى ويكون الجدول على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	يغنيه	√	√	√	√
	يعنيه	×	×	√	√

النموذج الثامن: المفاضلة بين (ظن) وأيقن:

في قوله تعالى: ((كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ)) [القيامة: 26-28] فقد قرأها ابن عباس (وأيقن أنه الفراق)، ((وقال ابن عباس في تفسيره: ذهب الظن...، أي أيقنوا بذلك وتحققوه. لكنه أراد لفظ اليقين الذي لا يستعمل في الشك، وكأنه قال: ذهب اللفظ الذي يصلح للشك، وجاء اللفظ الذي هو تصريح باليقين))[50]، والوارد في تفسير ابن عباس أنه قال: ((علم الْمَيِّت حِينَئِذٍ))[51]، وبلحاظ أن تفسير ابن عباس لم يصلنا كاملاً ولربما يكون هذا القول ممّا سقط من تفسير، ولوثاقة ابن جني لغوياً سنعتمد على صحة صدور هذه القراءة من ابن عباس.

ويكاد يتفق معظم المفسرين على أن الظن هنا بمعنى اليقين؛ واتفاقهم هذا سيجعل المعنى واحداً (الظن واليقين)؛ وهو مخالف للتحقيق في معنى الظن؛ لأن ((الأصل الواحد في المادة: هو اعتقاد ضعيف غير جازم ليس فيه يقين مستند إلى دليل قاطع، والأغلب فيه مخالفته للواقع وبهذا اللحاظ يكون اتباعه مذموماً وإن صادف موافقته للواقع... بل الحق أن استعماله بمعنى اليقين أو الشك غير صحيح إلا بتجوز مجوِّز وأكثر استعمالها في موارد الطعن والتحقير والتضعيف))[52]. والصواب في تفسيرها هو: ((أي وظن الإنسان المحتضر أن ما نزل به الفراق من حبيبته الدنيا ونعيمها وقيل فراق الروح الجسد، والظن هنا عند أبي حيان على بابه وأكثر المفسرين على تفسيره باليقين قال الإمام ولعله إنما سمي اليقين هاهنا بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة))[53].

والعودة إلى السياق القرآني الواردة فيه الكلمة نتبين صحة ما ذهب إليه أبي حيان[54]؛ وأن تمسك الإنسان بالحياة البالية الفانية ورغبتها بالبقاء فيها لجهله بما بعد الحياة هو الذي يجعله ظاناً بأنه سيفارق الحياة وكله أمل بأن احتضاره ما هو إلا حالة مرضية سيشفى منها.

وعلى هذا فالخرجان يكونان بمعنى مختلف وليس معنى واحدو ويبقى أمامنا القارئ الذي قال عنه ابن جني: ((ينبغي أن يحسن الظن بابن عباس، فيقال: إنه أعلم بلغة القوم من كثير من علمائهم))[55]. ولكن مع علمه بالعربية وبأشعار العرب وبلغتهم، لكنه خالف جماعة القراء كلهم وتوهم أن المراد من قوله تعالى هو أن الانسان صار عالماً بأنه مفارق الحياة، وليس الأمر كذلك كما تقدّم؛ وبها نستطيع وضع جدول قيود الأفضلية للخرجين على النحو الآتي:

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 131) 2025, pp. 73-90

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	ظنَّ	√	√	√	√
	أيقنَّ	×	√	√	√

النموذج التاسع: المفاضلة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول في الفعل (يسحبون):

وفي قوله تعالى: ((إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ)) [غافر: 71] قرأها ابن عباس وابن مسعود والسلاسلَ يَسحبون بالفتح وبناء الفعل للمعلوم، يقول ابن جني: ((التقدير فيه إذ الأغلال في أعناقهم ويسحبون السلاسل، فعطف الجملة من الفعل والفاعل على التي من المبتدأ والخبر...وعلى أنه لو كان إذ في أعناقهم الأغلال والسلاسل يسحبون، لكان أمثل قليلاً من قبل أن قوله {في أعناقهم الأغلال يشبه في اللفظ تركيب الجملة من الفعل والفاعل، لتقدم الظرف على المبتدأ، كتقدم الفعل على الفاعل، مع قوة شبه الظرف بالفعل))[56]. مراجعة المدونات التفسيرية تكشف اتفاقها على أن معنى ((إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ، فِي الْحَمِيمِ وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَكُونُ فِي أَعْنَاقِهِمُ الْأَغْلَالُ وَالسَّلَاسِلُ، ثُمَّ يُسْحَبُونَ بِتِلْكَ السَّلَاسِلِ فِي الْحَمِيمِ، أَيْ فِي الْمَاءِ الْمُسَخَّنِ بِنَارِ جَهَنَّمَ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ وَالسَّجْرُ فِي اللُّغَةِ الْإِيقَادُ فِي التَّنُّورِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ فَهِيَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ))[57]. أما قراءة البناء للمعلوم فهي تغير المعنى تغييراً تاماً؛ وقد خرَّج ابن عباس هذه القراءة على معنى أنهم ((إِذَا كَانُوا يَجُرُّونَهَا، فَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ، يُكَلَّفُونَ ذَلِكَ وَهُمْ لَا يُطِيقُونَ))[58]، وهو معنى مغاير تماماً لقراءة الجماعة؛ فشتان بين الاثنين؛ فيكون وسم هذه القراءة بالشذوذ وسماً سليماً وحكماً لغوياً صائباً؛ أما جدول القيود فنستطيع رسمه على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	والأغلال يُسحبون	√	√	√	√
	والأغلالَ يَسحبون	×	×	√	√

النموذج العاشر: المفاضلة بين أشاء وأساء:

في قوله تعالى: ((قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)) (الأعراف: 156)، وقراءة الحسن وعمرو الأسواري: ((أُصيبُ به مَن أَسَاءَ))[59]. إن مخالفة الحسن البصريّ لقراءة الجمهور والخروج عن اجماعهم في هذه القراءة مبني أساساً على المراد من المشيئة، والتي هي ((ليس بمعنى الإرادة المطلقة، ومن غير قيد أو شرط، بل هي إرادة مقترنة بالحكمة والصلاحيات والليقات))[60]. قال أبن جني: ((هذه القراءة أشد إفصاحًا بالعدل من القراءة الفاشية التي هي: "مَن أشاء"؛ لأن العذاب وفي القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له، وهو الإساءة، والقراءة الفاشية لا يُتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له، وأن ذلك لشيء يرجع إلى الإنسان، وإن كنا قد أحطنا علمًا بأن الله تعالى لا يظلم عباده، وأنه لا يعذب أحدًا منهم إلا بما جناه واجترمه على نفسه، إلا أنا لم نعلم

ذلك من هذه الآية؛ بل من أماكن غيرها. وظاهر قوله تعالى: {مَنْ أَشَاء} بالشين معجمة ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين أنه يعذب من يشاء من عباده، أساء أو لم يسئ، نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله، وهو حسبنا ووليا))[61]، وقد اختار الشافعي هذه القراءة[62].

لقد بنا الحسن البصريّ قراءته وخروجه عن الاجماع على أساس المعنى المراد من عذاب الله؛ فالعذاب لا يمكن أن يصيب إلا المسيء. وهذا الخرج –بناء على ما تقدّم- مطالق للخرج الأول (أشاء) من حيث المعنى؛ ولكن العلماء رفضوه لأنه خالف إجماع القراء، وبما أن القرآن نصٌّ ولابد للقراءة أن تكون متواترة ولا يجوز الاجتهاد فيها؛ لذا عدوها شاذة، وعليه نستطيع وضع قيود الأفضلية على النحو الآتي:

القيود		حصول المعنى	الاستعمال عند الفصحاء أم عند المولدين	السلامة القواعدية للتركيب	الاقتصاد في الجهد
الخرج	أشاء	√	√	√	√
	أساء	√	×	√	√

الخاتمة:

1- المفاضلة بين البنيات اللغويّة عملية معروفة ومستعملة عند النحاة واللغويين العرب، ولم يخل منها أي متن نحوي أو معجم أو تفسير ، وهي تدل على المعرفة اللغوية على مستوى العلماء كافة

2- القراءة الشاذة في حقيقتها اجتهاد شخصيّ من القراء ومحاولة قراءة النص على وفق الفهم الشخصي له؛ وهي نتاج بشري لغويّ لم يصدر من الله؛ بل جرى على وفق النصِّ القرآنيّ.

3- معظم القراءات الشاذة تختلف في المعنى عن قراءة الجماعة؛ بل بعضها يقلب المعنى رأساً على عقب؛ وهذا المعنى متأتٍ غالباً من فهم القارئ للنص القرآنيّ؛ فأراد قراءته كما فهمه هو؛ ثم ثبتت هذه القراءة ونسبت إليه على مرّ الدهور.

4- نظر اللغويون والمفسرون نظرة قدسية للقراءة ؛ أبعدتهم عن نقد القراءة وتقييمها؛ فخسر الدرس اللغويّ جهداً نقدياً إن حضر سيؤدي إلى اثراء الدرس اللغوي بمادة لغوية ثرية.

5- إننا نرى أن الشاذ النحوي هو مستوى لغويّ يكشف الأداء اللغويّ لبيئة لغوية معينة؛ وهو خارج عن النظام القواعدي العربي ؛ ولكنه لم يخرج عن النظام الاستعمالي العربي.

6- كان قيد المعنى والاستعمال هو القيد الأكثر حضوراً في التمييز بين الخرجين الذين يقع التفاضل في ما بينهما.

المصادر:

- الإتقان في علوم القرآن ، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ) ، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربيّة السعوديّة ، (د.ت) .
- أثر المتبقي في الشواهد النحوية الشعرية في كتاب سيبويه، دراسة وصفية تحليلية، لبنى العطابي، (دكتوراه)، جامعة اليرموك ، الأردن، 2016.
- اعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر النَّحَّاس (ت 338هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
- اعراب القرآن وبيانه، محي الدين الدرويش، اليمامة - دار ابن كثير - دار الإرشاد، 1412 – 1992.
- اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد بن خالويه، دار ومكتبة الهلال، 1985م.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ، إيران ، ط1، 1413هـ .
- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط1، 1413هـ - 1993م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني ، (ت 1205هـ) ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، طبعة الكويت ، تاريخ الطبع (2002م).
- التحرير والتنوير ، الشيخ مُحمَّد الطاهر بن عاشور، (ت1284هـ) ، الدار التونسية للنشر ، 1984م
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم الشيخ حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي - مركز نشر اثار العلامة المصطفوي؛ ط 1، 1416هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب إلى: عبد الله بن عباس - جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، دار الكتب العلمية، 1412 – 1992م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (ت 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1415 هـ.
- عناصر الأفضلية النحوية و الصيغ الإختيارية في القراءات القرآنية الشاذة : دراسة وصفية تحليلية، رائدة علي محمد مراشدة، جامعة اليرموك كلية الاداب ، 2016م.
- عنف اللغة، جان جاك لوسركل، ترجمة: د.محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2005م.
- غاية النهاية غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، مكتبة ابن تيمية، د.ت.
- في اللسانيات المعاصرة، الاقتصاد الصرفي ونظرية المفاضلة، د. أحمد الطيبي ، عالم الكتب للنشر والتوزيع - الأردن، 2015م.
- القواعدية وعناصر الأفضلية في شاهد الحديث الشريف ، محمد نيزوان بن موسلينغ، عالم الكتب الحديث، 2019م.
- الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم الزمخشري ، تحقيق وتعليق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1421هـ - 2001م .
- اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضليّة، دراسة وصفية تحليلية، أ.د. يحيى عبابنه، دار الكتاب الثقافي، الأردن، د.ت.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني (ت392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، دار سركين للطباعة والنشر، 1982م.
- معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة، دمشق ، ط1، 2002م.
- معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمر ، عبد العال سالم مكرم، الكويت، ط2، 1988م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت 392هـ) – المحقق: إبراهيم مصطفى، ط1، 1373هـ / 1954م.
- النشر في القراءات العشر شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

• النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي / تأليف رينيه كاخر ؛ ترجمة فيصل بن محمد المهنا، ط1، 2004م.

المجلات الأكاديمية:

• القراءات الشاذة المروية عن عيسى بن عمر الثقفي رحمه الله(ت150هـ) في سورة البقرة، (جمعا ودراسة

• نظرية الأفضلية النحوية في القراءات القرآنية "ظاهرة الحذف أنموذجا"، دراسة وصفية تحليلية، مجلة المنارة، المجلد 22، العدد 1. 2016 .

Sources:

• Perfection in the Sciences of the Qur'an, Abu Al-Fadl Abdul Rahman bin Abi Bakr Al-Suyuti (d. 911 AH), edited by: Center for Qur'anic Studies, Kingdom of Saudi Arabia, (d. T.).

• The effect of the remainder on the poetic grammatical evidence in the book of Sibawayh, a descriptive and analytical study, Lubna Al-Atabi, (PhD), Yarmouk University, Jordan, 2016.

• The Parsing of the Qur'an by Al-Nahhas, Abu Jaafar Al-Nahhas (d. 338 AH), footnoted it and commented on it: Abdel Moneim Khalil Ibrahim, Publications of Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1421 AH.

• • Parsing thirty surahs from the Holy Qur'an, Al-Hussein bin Ahmed bin Khalawayh, Al-Hilal House and Library, 1985 AD.

• • The Optimal Interpretation of the Revealed Book of God, Sheikh Nasser Makarem Shirazi, Al-Ba'athah Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Iran, 1st edition, 1413 AH.

• • The Ocean Sea, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf Al-Andalusi (d. 745 AH), edited by: Adel Ahmed Abdel Mawjoud and Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1413 AH - 1993 AD.

• • Taj al-Arous from Jawahir al-Qamoos, Muhammad Murtada al-Zubaidi al-Husseini, (d. 1205 AH), edited by a group of professors, Kuwait edition, date of publication (2002 AD).

• Liberation and Enlightenment, Sheikh Muhammad Al-Tahir bin Ashour, (d. 1284 AH), Tunisian Publishing House, 1984 AD.

• Investigating the words of the Holy Quran by Sheikh Hassan Al-Mustafawi; Publisher: Printing and Publishing Corporation, Ministry of Culture and Islamic Guidance - Center for Publishing the Works of Allama Al-Mustafawi; Edition: First 1416 AH.

• • Tanweer Al-Miqbas from Tafsir Ibn Abbas, attributed to: Abdullah bin Abbas - compiled by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1412 - 1992 AD.

• • The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (d. 1270 AH), investigator: Ali Abd al-Bari Attiya, Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut, first edition, 1415 AH.
• • Elements of grammatical preference and optional forms in irregular Qur'anic readings: A descriptive and analytical study, Raida Ali Muhammad Marashdeh, (Ph.D.), Yarmouk University, Faculty of Arts, 2016 AD.
• • The Violence of Language, Jean-Jacques Losercle, translated by: Dr. Muhammad Badawi, Arab Organization for Translation, 1st edition, 2005 AD.
• • The goal of the end, the goal of the end in the classes of readers, Shams al-Din Abu al-Khair Ibn al-Jazari, Muhammad bin Muhammad bin Yusuf (d. 833 AH), Ibn Taymiyyah Library, d.d.
• • In contemporary linguistics, morphological economics and differentiation theory, Dr. Ahmed Al-Tibi, World of Books for Publishing and Distribution - Jordan, 2015 AD.
• • Grammar and elements of preference in witnessing the noble hadith, Muhammad Nizwan bin Musling, Modern World of Books, 2019 AD.
• • Al-Kashshaf of the Realities of Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation, Abu al-Qasim Jar Allah Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari, edited and commented by Abdul Razzaq al-Mahdi, Arab Heritage Revival House, Beirut, Lebanon, 2nd edition, 1421 AH - 2001 AD.
• • The Arabic language between grammaticality and residualism in light of preference theory, a descriptive and analytical study, Prof. Dr. Yahya Ababna, Dar Al-Kitab Cultural, Jordan, D.T.
• • Al-Muhtasib fi Bayn al-Fujah al-Awwad al-`Awad al-Qira'at al-Qur'an and Explaining Them, Ibn Jinni (d. 392 AH), edited by: Ali al-Najdi Nasif, and Abd al-Halim al-Najjar, Dar Sarkin for Printing and Publishing, 1982 AD.
• • Dictionary of Readings, Dr. Abdul Latif Al-Khatib, Saad Al-Din Printing House, Damascus, 1st edition, 2002 AD.
• • Dictionary of Qur'anic Readings, Ahmed Mukhtar Omar, Abdel-Al Salem Makram, Kuwait, 2nd edition, 1988 AD.
• Keys to the Unseen, Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi (d. 606 AH), Arab Heritage Revival House - Beirut, third edition - 1420 AH.

• • Al-Mansif Explanation of the Book of Al-Tasrif by Abu Othman bin Jinni Al-Nahwi (d. 392 AH) - Editor: Ibrahim Mustafa - Abdullah Amin - Publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi - Edition: First - 1373 AH / 1954 AD.
• • Publication in the Ten Readings by Ibn al-Jazari, (833 AH), investigator: Ali Muhammad al-Dabaa' (1380 AH), Grand Commercial Press, D.T.
• • Differential theory in linguistic analysis / written by Rene Kachher; Translated by Faisal bin Muhammad Al-Muhanna, 1st edition, 2004 AD.

Academic journals:

• • The abnormal readings narrated on the authority of Issa bin Omar Al-Thaqafi, may God have mercy on him (d. 150 AH) in Surat Al-Baqarah, (collection and study
• • The theory of grammatical preference in Qur'anic readings, "The phenomenon of deletion as a model," a descriptive and analytical study, Al-Manara Magazine, Volume 22, Issue 1. 2016.

[1] تاج العروس: 9/ 423.
[2] النشر في القراءات العشر : 1 / 9 ، وينظر: الاتقان في علوم القرآن: 1 / 75 .
[3] ينظر : النشر : 1 / 9 .
[4] ينظر: القراءات الشاذة المروية عن عيسى بن عمر الثقفي في سورة البقرة (بحث) : 2253.
[5] عناصر الأفضليّة النحويّة: 17- 18.
[6] في اللسانيات المعاصرة، الاقتصاد الصرفي ونظرية المفاضلة، د. أحمد الطيبي: 43.
[7] النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي: المقدمة هـ.
[8] القواعدية وعناصر الأفضلية في شاهد الحديث الشريف : 50.
[9] عنف اللغة: 7.
[10] نظرية الأفضلية النحوية في القراءات القرآنية "ظاهرة الحذف أنموذجا"، دراسة وصفية تحليلية، مجلة المنارة، المجلد 22، العدد 1. 2016 : 35.
[11] معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم : 1/ 15- 16.
[12] عنف اللغة: 71- 72.
[13] عنف اللغة: 52.
[14] عنف اللغة: 54.
[15] أثر المتبقي في الشواهد النحوية الشعرية في كتاب سيبويه: 2.
[16] عنف اللغة: 19.
[17] اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضليّة: 87.
[18] في اللسانيات المعاصرة: 50.
[19] في اللسانيات المعاصرة: 51- 55.
[20] في اللسانيات المعاصرة: 62، و القواعدية وعناصر الأفضلية في شاهد الحديث الشريف : 54.
[21] في اللسانيات المعاصرة : 82.
[22] القواعدية وعناصر الأفضلية في شاهد الحديث الشريف : 52.
[23] معاني القرآن، الفراء: 1/ 3.
[24] اعراب ثلاثين سورة: 1/ 18.

[25] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها: 37.
[26] المحتسب: 38.
[27] اعراب القرآن وبيانه: 1/ 193.
[28] معاني القرآن: 1/ 83.
[29] البحر المحيط: 1/ 646.
[30] البحر المحيط: 1/ 646.
[31] المحتسب: 1/ 360- 361.
[32] البحر المحيط: 2/ 560.
[33] اعراب القرآن للنحاس: 4/ 322.
[34] اعراب القرآن للنحاس: 4/ 322.
[35] البحر المحيط: 10/ 77.
[36] معاني القران للفراء: 3/ 121.
[37] المحتسب: 2/ 133.
[38] المنصف، تحقيق ابراهيم مصطفى: 1/ 311.
[39] البحر المحيط: 1/ 522.
[40] غاية النهاية: 2/ 235.
[41] المحتسب: 1/ 316- 317.
[42] الكشاف: 2/ 368.
[43] مفاتيح الغيب: 17/ 297.
[44] النشر في القراءات العشر: 1/ 16.
[45] البحر المحيط: 10/ 411.
[46] التحرير والتنوير: 30/ 137.
[47] البحر المحيط: 10/ 411.
[48] المحتسب : 2/ 352.
[49] معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب : 10/ 315.
[50] المحتسب: 2/ 403.
[51] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: 494.
[52] التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 7 /217.
[53] روح المعاني: 15/ 163.
[54] البحر المحيط: 10/ 352.
[55] المحتسب: 2/ 342.
[56] المحتسب: 2/ 290.
[57] مفاتيح الغيب: 27/ 532.
[58] البحر المحيط: 9/ 272.
[59] المحتسب: 1/ 261.
[60] الأمثل: 165/5.
[61] المحتسب: 1/ 261.
[62] مفاتيح الغيب: 15/ 379.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.31 (NO. 131) 2025, pp. 73-90

The abnormal Qur'anic readings are read in light of the theory of linguistic preference

Dr. Ahmed Hussein
Ministry of Education, Directorate of Education, Baghdad, Rusafa, third
ah1975.h.h@gmail.com

Abstract

The explanatory and linguistic texts recorded some Qur'anic readings and marked an abnormal area; Sorry, you have exceeded the set admission criteria Although some Arabs use it; However, this use did not reach the level of popularity and frequency. This anomaly was not arbitrary; Rather, it was based on specific controls and standards In this research, I tried to approach the abnormal readings according to the linguistic preference theory, with its two criteria: the grammatical preference criterion and the usage preference criterion. And the choice adopted by scholars.

Keywords: abnormal, abnormal readings, residual, preference, linguistic restrictions.